# التعدد اللغوي وأثره الجمالي في رواية كراف الخطايا لعبد الله عيسى لحيلح

**الباحثة: ابتسام بهلول**
**الأستاذ المشرف : سعيد بوسقطة**
**قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة باجي مختار-عنابة (الجزائر)**
ibtissambehloul407@gmail.com

**الملخص:**
تسعى هذه المقاربة إلى تتبع حضور ظاهرة التعدد اللغوي في رواية "**كراف الخطايا**" "**لعبد الله عيسى لحيلح**" نظرا لاحتفاء هذا النص و غناه بالكثير من الأشكال اللغوية التي لفتت انتباهنا،واحتوائه على كم هائل من النصوص المتداخلة و الأساليب و اللغات المختلفة ،التي عكست تعدد المواقف و تضارب الرؤى اتجاه العالم ،و هذا انطلاقا من أن الرواية ليست تجسيدا للواقع فحسب بل هي موقف منه ، يجسده الصراع الواقعي و الإيديولوجي الذي يتمظهر على مستوى مكونات الخطاب الروائي.

وتعتبر الحوارية جوهرا أساسيا،و مكونا حقيقيا للغة الروائية تتأسس على ظاهرة تعدد الأصوات (الشخصيات) و اللغات و الأساليب، و التداخل بين هذه العناصر أسهم في رسم صورة اللغة المشكلة للنص الروائي، و انطلاقا مما سبق حاولنا في هذه المقاربة استجلاء مظاهر التعدد اللغوي و أثاره الجمالية و الفنية في بناء الرواية مستعينين في ذلك بأفكار و أطروحات الناقد اللغوي الروسي ميخائيل باختين ،و التي بلورت تصوراته حول نظريته الحوارية المؤثرة في مسار النقد اللغوي الحديث .

**الكلمات المفتاحية :** التعدد اللغوي ،الايدولوجيا ،الحوارية،الرواية الديالوجية.

The Abstract :
This approach endeavours to trace the presence of heteroglossia's phenomenon in Abdallah Aissa Lhilah's novel ' karraf Alkhataya'.It is due to its richness in many language forms that attracted our attention. The novel also contains a huge amount of intertextuality, styles and heteroglossia.That determined the multiplicity of opinions and the conflict



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

of visions towards the world. The novel, thus,is not gust an embodiment to reality, but it is a viewpoint it.This is best shown in the realistic and ideological conflict at the level of the novelistic discourse's constituents.

Dialogism is considered a fundamental core and genuine constituent of novelistic language.It is established on the phenomenon of polyvocality, characters, heteroglossia and styles. The overlap between these elements contributes to the language of the novel. Starting from that, the present approach seeks to clarify the aspect of heteroglossia and its esthetic effects in the making of the novel. The thoughts and theses of Russian critic Mikhail bakhtin would be great help. His dialogism theory changed the course of modern linguistic criticism.

Key words :Heteroglossia/ideological/Dialogism/the dialogical novel.

**مقدمة:**

جاء مفهوم الحوارية نقيضا لأسس ومبادئ النظرية الأسلوبية التقليدية ،التي اعتبرت الأسلوب صورة لشخصية مبدعه ،فنادت بمقولة " **الأسلوب هو الرجل نفسه**"،بينما اعتبر "**باختين**" اللغة بنية حركية دالة على التحولات الاجتماعية ، فبرزت أفكاره حول علاقة الرواية بالأيديولجيا والتي عكست تعدد اللغات لأن "**الرواية ليس فيها لغة واحدة يمكن دراستها لسانيا بالشكل المبسط المعهود،لأنها وحدة متماسكة تشمل عددا من اللغات و عددا من الأصوات و الأساليب** "[1].

ونستخلص انطلاقا مما سبق جهود باختين في مقاربة لغة النص الروائي اعتمادا على دراسة السياقات اللغوية و الاجتماعية،التي تجسد صورة اللغة المتولدة عن الحوار بين الشخصيات وتفاوت في الأساليب التعبيرية مع التأكيد على ضرورة مقاربة اللغة اعتمادا على دور السياقات الخارجية في بناء اللغة و تنوعها اجتماعيا و إيديولوجيا .إضافة إلى دراسة المستويات التركيبية والنحوية والدلالية ، والتي تسهم في إبراز النمط الأسلوبي السائد في النص .

أولى باختين اهتماما كبيرا للغة في نظريته، باعتبارها الكيان الحقيقي و العنصر الفعال الذي يعكس جمالية النص و يحقق تفرده عن باقي النصوص ،ويكشف عن تباين المواقف و اختلافها،فتحضر اللغة على مستوى السرد و الوصف و الحوار، و على لسان الشخصيات المتمايزة في مواقفها و المتباينة في مستوياتها الثقافية و الاجتماعية والفكرية، مما يضفي تنوعا جماليا وثراء معرفيا على بنية النص ،و المهم في نظريته و طرحه لفكرة حوارية اللغة في الرواية هو التفاعل اللغوي الحاصل بين مكونات الخطاب السردي ،فالتعدد اللغوي هو خاصية تتسم بها الرواية نتيجة انفتاحها على عدد كبير من الخطابات و الأصوات و تعدد أساليبها و أنماط الوعي الفردي و الجماعي بين شخصياتها ، و في هذا الصدد يقول "**إن أعظم عقبة تعترض**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**طريق الفنان هي خلق كيان فني موحد متكامل من مواد متنوعة و متنافرة و غريبة عن بعضها البعض".**[2]

كما يؤكد باختين على الدور المنوط بالكلمة كأصغر وحدة دلالية مكونة للخطاب الروائي في تجسيد المواقف الإيديولوجية المتصارعة،مما يوجب على الدارس التنقيب داخل الرواية عن وضع الكلمة، وتحليلها كدليل مجتمعي انطلاقا من السياقات الواردة فيها،والنظر في علاقتها الحوارية مع كلمة الآخر داخل الموضوع لأن "**الكلمة تولد في الحوار بوصفها ردة الحي و تتشكل في التفاعل الحواري مع كلمة الأخر داخل الموضوع،إن احتواء الكلمة موضوعها حواري دائما – لكن هذا لا يستنفد الحوارية الداخلية للكلمة،فالكلمة أي كلمة لا تلتقي بكلمة الأخر في الموضوع فقط،بل تتوجه إلى جواب،ولا يمكنها تفادي التأثير العميق الذي للكلمة الجوابية المتوقعة."**[3]

إن للكلمة في الرواية خصوصياتها التي تحقق تفردها،وما يزيد من تميزها عن باقي الكلمات هو ارتباطها بسلطة أو إيديولوجية تحقق استقلاليتها ،و تسهم في تباين مستويات الوعي الفردي و قد اصطلح باختين على تسميتها بـ:**"الكلمة السلطوية" التي " يمكن أن تنظم حولها إعداد كبيرة من الكلمات الأخرى التي تؤولها أو تمدحها،تستثمرها في غاية أو أخرى لكنها لا تندمج في هذه الكلمات بل تظل على درجة كبيرة من التميز و التراص و الخمول (...) ،الكلمة السلطوية تتطلب منا اعترافا مطلقا بها و ليس امتلاكا حرا و دمجها في كلمتنا الخاصة"**[4]

وتظل الكلمة الحوارية-حسب النظرية الباختينية- حاملة لثنائية صوتية و معبرة عن قصدين مختلفين،قصد مباشر للمتكلم في الرواية،و هو ما نصطلح عليه بالمعنى السطحي،وقصد غير مباشر للمؤلف الذي يحملها دلالات اجتماعية و إيديولوجية وفي هذا الصدد يقول باختين:**"إن الكلمة الثنائية الصوت ذات صفة حوارية داخلية دائما."**[5]

**2/ الرواية جنس التعدد اللغوي :**

أسس باختين نظريته في الرواية على فكرة التعددية اللغوية حيث توظف الرواية كجنس أدبي منفتح العديد من اللغات و الأساليب و الخطابات التي تتداخل و تتفاعل لغويا و دلاليا،وتعود أهمية اللغة إلى كونها الكيان الذي ينهض غليه البناء الفني للرواية،فالشخصية تستعمل اللغة أو توصف بها أو تصف بها مثلها مثل باقي عناصر العمل الروائي[6] .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتجلى التعدد اللغوي في الرواية على مستوى الشخصيات التي تتفاوت اجتماعيا وثقافيا، فيحدث التوافق بين لغة الشخصية ومستواها ، حيث يوظف الروائي اللغة المعبرة عن مواقفها الأيديولوجية، لغة خاصة تعكس انتماءها الاجتماعي ومستواها الثقافي و الفكري،فتوظف الرواية من باب التنويع الفني والثراء ،شخصية الفيلسوف و المهندس و شخصية الفلاح و المثقف ....،فلكل شخصية لغتها التي تبين عن مستواها و تعبر عن مواقفها و تعكس انتماءها الاجتماعي و الثقافي وتوجهاتها الفكرية و الإيديولوجية،ولا يتأتى ذلك إلا داخل الجنس الروائي لقدرته و قابليته على استيعاب أشكال التعدد اللغوي و الانفتاح على مختلف الأجناس و الخطابات.

ويستخدم أسلوب المحاكاة الساخرة في النظرية الباختينية كتقنية لاستحضار أقوال الشخصيات بطريقة ساخرة ، وهو ما اصطلح عليه باختين بمصطلح البارودي (Parodie) :" **وهو نوع من الأسلبة يقوم على عدم توافق نوايا اللغة المشخّصة (بفتح الصاد)،مع مقاصد اللغة المشخّصة، (بكسر الصاد)،فتقاوم اللغة الأولى الثانية وتلجأ إلى فضحها و تحطيمها** "[7].

كما أن كثرة الخطابات الواردة في الرواية، و تداخلها عن طريق الاستشهاد و التمثيل، يعكس التنوع الاجتماعي للغات حيث يقول باختين عن الأجناس و الخطابات المتخللة في الرواية :"**إن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية ،سواء كانت أدبية،أشعار،قصائد،مقاطع كوميدية، أو خارج أدبية ،دراسات عن السلوكيات،نصوص بلاغية و علمية و دينية**."[8]

والواضح أن لكل جنس أو خطاب يدخل عالم الرواية أشكاله اللفظية و الدلالية التي تسهم في تمثل مختلف مظاهر الواقع وتشييد معالمه باعتبار أنها أجناس وخطابات تحاكي الواقع وتنهل منه وتتشابك معه،متخذة موقفا منه،وتتمايز من حيث التعدد اللغوي،مما يكسب الرواية تنوعا لغويا و ثراء دلاليا و يجعلها أكثر الأجناس الأدبية تعبيرا عن التنوع الاجتماعي للغات .

واعتمادا على ما سبق تتفاعل اللغة الروائية وتلتبس بغيرها من اللغات و الخطابات و اللهجات ،مشكلة تعددا لغويا وثراء معرفيا و تنوعا دلاليا ،و سنحاول من خلال هذه المقاربة و اعتمادا على ما سبق طرحه من مفاهيم حول التعدد اللغوي و أشكاله المختلفة عند ميخائيل باختين،واستنادا إلى مفهوم التناص لجوليا كريستيفيا الذي يجسد مظاهر التفاعل و التداخل



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغوي ،استجلاء مظاهر التعدد اللغوي،وأثاره الجمالية و الفنية في رواية كراف الخطايا للكاتب و الروائي عبد الله عيسى لحيلح.

**4/ قراءة في الرواية :**

يقدم الكاتب الجزائري عبد الله عيسى لحيلح في رواية كراف الخطايا وعلى لسان شخصياته الروائية صورة لأفكار متناقضة و رؤى متضاربة في واقع يسوده الانحطاط الأخلاقي في ظل التعددية الحزبية و اختلاف الأنظمة السياسية، رواية تتخذ من الأزمة و المأساة الوطنية في فترة التسعينيات فضاء للبوح السردي، لغة يتماهى فيها الواقعي بالتخيلي ،و تتفاعل مع مسار السرد وتتداخل مع عديد الأفكار و الخطابات و الثقافات ،فتتداخل الظروف الاجتماعية و النفسية وتتحاور الشخصيات بلغات متباينة،فتطفو إلى السطح

اللغة الفصحى والأجنبية و اللهجة العامية ويلجأ الراوي إلى الاستشهاد بالنصوص الدينية و المقولات الشعرية لتتجلى الرواية فضاء لتنوع اللغات الاجتماعية و تحاورها داخل البناء السردي، و في ظل هذا التنوع و التعدد تتضارب المواقف و تتباين الشخصيات في رسم رؤيتها من العالم .

تنفتح رواية كراف الخطايا على فضاءات و أزمنة مختلفة ،و تطرح قضايا سياسية و دينية و تاريخية،فتتنوع المواضيع ويتداخل عدد كبير من الخطابات و النصوص عن طريق تقنية التناص مشكلة نصا روائيا منفتحا قوامه تعدد اللغات.

**5/ أشكال التعدد اللغوي في رواية كراف الخطايا :**

تتميز رواية كراف الخطايا على مستوى البناء اللغوي بتوظيفها لمزيج من اللغات متوخية من وراء ذلك إيصال رؤيتها و مواقفها المتباينة للمتلقي ،فتبدو اللغة الفصحى بشاعريتها ورونقها وخصائصها الجمالية متداخلة – عن طريق توظيف تقنية التناص و الاستشهاد بنصوص دخيلة- مع اللغة الدينية المقدسة و اللغة التاريخية و السياسية،واللغة الشعرية،إضافة إلى استحضار اللهجة العامية و توظيف اللغة الأجنبية.

واعتمادا على هذا الثراء المعرفي الذي ميز الرواية ،نظرا لتنوع اللغات وتداخل النصوص وتعدد الأساليب،نسج عيسى لحيلح عالمه الروائي محاولا تفعيل الخيوط السردية وتحقيق الانسجام والتآلف بين لغة السرد و لغة النصوص الدخيلة ،و الخروج برؤية منسجمة ،توحي بقدرة الكاتب على توظيف أسلوب تتماهى فيه النصوص والخطابات لبناء عالمه الروائي.



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهدفنا في هذه المقاربة هو إزاحة الستار عن أهم اللغات التي وظفها الكاتب في متنه الروائي و أخص بالذكر لغة القران الكريم ،و اللغة التاريخية،واللغة السياسية و اللغة الشعرية إضافة إلى اللهجة العامية بأشكالها التعبيرية المختلفة.

**أ- لغة القران الكريم :**

كان للغة القرآنية الحظ الأوفر في تشكيل الفضاء اللغوي للرواية، حيث استثمرها الروائي لاعتبارات عدة أهمها: المقدرة الفنية و الجمالية التي تتسم بها نظرا لفصاحتها و بلاغتها و مقدرتها على تجسيد المواقف المختلفة و إبراز التناقضات والمتغيرات الطارئة على القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية .

وظفت الرواية في الكثير من المقامات السردية النص القرآني الذي أسهم في إثرائها بملفوظات دالة ،كرست فكرة التعددية اللغوية حيث استلهم السارد معاني بعض الآيات القرآنية لتأكيد طرحه حول زيف الواقع و تشتته في ظل تأزم الوضع في فترة التسعينات ومن أمثلة ذلك ما يلي.

"**إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء."**[9]

**" أرجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت."**[10]

**" لا يظلم ربك أحدا."**[11]

**" قتل الإنسان ما أكفره."**[12]

**"اقرأ باسم ربك الذي خلق."**[13]

**"فإن لكم ما سألتم."**[14]

**"هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا."**[15]

إن التأمل في معاني الآيات الكريمة يجد أنها وظفت لأهداف و أبعاد مختلفة ،بصيغ إيحائية ذات دلالات رمزية ،يهدف السارد من خلالها إلى تفكيك الواقع المتأزم و توليد دلالات جديدة تعكس الواقع السياسي و الاجتماعي الراهن ، الذي تعيشه الشخصيات في ظل الأزمة السياسية و الاجتماعية،و قد لجأ السارد انطلاقا من الاستشهادات السابقة إلى اقتباس الآيات القرآنية لفظا و معنى دون استبدالها بلمفوظات أو صيغ مختلفة و هذا من باب تأكيد ثنائية المعنى،أين



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتجلى المعنى المباشر الذي يحمله ظاهر الآيات بينما تتوارى مقاصد الروائي خلف المعنى الغير المباشر الذي يجسم الواقع و يحاوره عن طريق تعدد الدلالات .

يستثمر الروائي الدلالات الدينية في إثراء المواقف المتعددة للنص الروائي ،فيلجأ إضافة إلى توظيف النصوص القرآنية السابقة إلى تسخير معاني بعض الأحاديث البنيوية مثل قوله:

"ابتسم ...ابتسم بشفتيك فان لم تستطع فبعينك،فان لم تستطع فبقلبك و ذلك أقصى ما تستطيع[16]".

و هذا من باب التناص مع الحديث النبوي الشريف،حيث يقول عليه الصلاة و السلام:"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[17]

يتضح دور هذا الحديث في إبراز المسار و الخط النضالي لمنصور ،الذي قرر تغيير الواقع واستبداله بأخر أفضل منه، فنقلنا هذا الحديث بمعانيه الدينية السمحة إلى مظاهر الواقع اليومي للفرد الجزائري الذي علته نبرة الاضطهاد ونقشت فيه المعاصي و الآثام،فتمازجت و تفاعلت معاني الآيات الدينية و الأحاديث النبوية مع بنية و لغة النص الروائي في تناغمية حوارية أساسها تداخل اللغات.

**ب- اللغة السياسية:**

فرضت اللغة السياسية حضورها بشكل مكثف في الرواية اعتبارا من أن الموضوع الأساس في الرواية هو الأزمة السياسية و المأساة الوطنية التي عصفت بالجزائر،فكتبت الرواية في ظرف سياسي خاص و هو فترة التسعينيات ،وقد دون الروائي في الصفحة الأخيرة من روايته تاريخ كتابته لأحداث الرواية فحصره بين مكانين و زمنين مختلفين( بدأ كتابتها في جبل بني عافر بتاريخ 1998/04/05، وأنهى كتابتها في جبل سدّات بتاريخ 1998/10/28)، وهي فترة دموية اتسمت بتأزم الوضع السياسي و صراع الأحزاب و تدهور الأوضاع الاجتماعية.حيث وظّف الروائي لغة الصراع القائم بين الأحزاب السياسية و المعتقدات الدينية،التي صعّدت من وتيرة المقاومة و تفشي مظاهر العنف،ويمكن انطلاقا من النص الروائي استقراء التوجهات الإيديولوجية المتضاربة كمظهر من مظاهر تجلى التعدد اللغوي.

تهدف أحداث الرواية وانطلاقا من مواقف شخصية منصور، إلى فضح أنظمة الحكم الفاسد و تفشي أشكال الفساد السياسي و التمرد على جميع الأنظمة و الأحزاب التي قيدت



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حرية الفرد و صادرت حقوقه حيث يقول السارد:" فهو يلعن الحزب الواحد و هو منخرط فيه و يتهمه بالتواطؤ (...)،يسب الشيوعيين و يصفهم بالكلاب الضالة و يشتم الإسلاميين ويرميهم بالبدعة في الدين و المتاجرة به، و يحقد على الوطنيين و يتهمهم بالنفعية و العمالة و الارتزاق بل إنه يسميهم البطنيون من البطن و يصف الليبراليين بأنهم بقايا كولون"[18]

كما تتجلى الكلمة الساخرة و لغة الاستهزاء من الآخر في مواقف منصور من بعض الاتجاهات الحزبية التي صنفت على أسس طبقية ومظاهر شكلية ."لا يجب أن يكون خوانجيا باللحية و العباءة ،ولا يجب أن يكون ليبراليا بالبطن المنتفخ و الوجه الأملس الحليق ،ولا يساريا بسروال الجينز و النظارة الدائرية البيضاء و الشارة الحمراء ،إنه يريد أن يكون إنسان في عينه قبل أن يكون شيئا أخر "[19]

ويتواصل موقف منصور الساخر من الأفكار و الإيديولوجيات السائدة و الأحزاب السياسية المتعددة حيث سجّل على شريطه السمعي أصوات بعض الحيوانات جاعلا كل صوت يرمز إلى طبقة من طبقات المجتمع.

- **صوت الدجاجة يرمز إلى صورة المتدينين.**
- **صوت الديك يرمز إلى التغيير الذي يحققه نداء النخبة الثورية.**
- **صوت التيوس يرمز إلى الطبقة البرجوازية المتعفنة المنتفعة.**
- **صوت نهيق الحمير يرمز إلى الجهلة و الحمقى.**
- **صوت نباح الكلاب يرمز إلى الثورة المضادة .**
- **صوت زقزقة العصافير يرمز إلى المستقبل المشرق الذي ينتج عن الثورة.**
- **صوت النعيق يرمز للموت و الخراب كما هو معروف**[20] .

تأكد من خلال الاستشهادات السابقة أن تداخل لغة الخطاب السياسي مع لغة النص الروائي حتمية أقرت بتدني الواقع الجزائري في فترة من فتراته الحالكة و المظلمة،في ظل غياب العدالة الاجتماعية و ضبابية المبادئ الديمقراطية و تفشي مظاهر الاستبداد ،وقد أورد الروائي على لسان شخصية منصور وعي الذات بواقعها وموقفها من الآخر حيث يقول:" **صحيح إني جائع و لن يشبعني إلا معرفة الحقيقية التي تواطأنا جميعا على تزييفها و إخفائها، ليسهل علينا بعد**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**ذلك الكذب و النفاق و السرقة و أكل أموال اليتامى و الضعفاء بلا توبيخ من شرف أو تأنيب من ضمير أو تقريع من نخوة[21] "**

كما يتجلى اختلاف التوجهات الإيديولوجية وتصارعها في الرواية على مستوى لغة النص الروائي التي تداخلت مع لغة العنف السياسي،حيث صور الراوي الصراع الناشب بين جبهة التحرير و أصحاب اللحية بعد أن سعى كل طرف بأساليبه الخاصة إلى فرض وجوده على أرض الواقع ،فأتهم حزب جبهة التحرير كل من خالف القضية الوطنية بالخيانة ،وفي المقابل ظلت الزندقة و الخروج عن الدين تهمة لصيقة وعار يلاحق كل من عارض أصحاب اللحية ، حيث يقول :"**بهذا نضع حدا للتزمت و التطرف المتشنج الذي سنته جبهة التحرير لما جعلت الناس يعتقدون أن كل من خالفها خائن للقضية الوطنية ليقتدي بها اليساريون و الاشتراكيون ،حيث رأوا أن كل من خالفهم في نظرتهم لثورة البناء و التشييد رجعي و بورجوازي عميل ليتم هذا التطرف و التشنج بأصحاب اللحية الذين أشاعوا في السواء أن كل من خالف نظرتهم و فهمهم للدين مارق و زنديق[22]**".

و زبدة القول إن حضور اللغة السياسية داخل المتن الروائي كان بشكل مكثف،وظفها الروائي في العديد من السياقات و المواضيع أهمها: الإرهاب ،القهر السياسي ،صراع الأحزاب ،تعدد الإيديولوجيات ،الصراع الطبقي ،التفاوت الاجتماعي ...الخ ،وغيرها من المواضيع التي صورت تأزم الوضع السياسي في جزائر التسعينات ،نتيجة تداعي جملة من الخلفيات ،ولا يسعنا المقام لنفصّل الحديث في مختلف الأشكال و الموضوعات السياسية التي أبانت عن حضور مميز للغة السياسية و أسهمت إلى جانب اللغة الدينية في إثراء الخطاب الروائي بمزيج من اللغات والأساليب المتحاورة.

**ج/ اللغة الشعرية :**

وتأكيدا على مقولة أن الرواية أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على بقية الفنون والأنواع الأدبية ،بالنظر إلى طبيعتها ومقدرتها الكبيرة على استيعاب جميع الأشكال والنصوص واللغات ،تتقاطع الرواية مع اللغة الشعرية وتتفاعل مع نسيجها السردي ،بأساليب وطرق جمالية متنوعة ،وما يقال على رواية كراف الخطايا أنها رواية شعرية بامتياز ،تتجلى شعرية اللغة فيها على مستوى اللفظة أو الكلمة الساحرة الملقية بظلالها الشعرية على الخيوط السردية في تناغمية حوارية ،وتأكيدا على ما قلناه نستشهد بمقاطع سردية من نص الرواية حيث يقول السارد :



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**-"قطرة ...وكل قطرة يحسها كوكبا ناريا منفلتا يضرب أعماقه ،قطرة قطرة ... وكل قطرة يحسها نغما وإيقاعا في نشيد الوداع ...بل أحس أن لسانه مداسات بيانو توقع عليها أنامل الخمرة ترنيمة الشوق الأخير التي بها سوف ينسدل الستار وتنطفئ الأنوار المتوهجة قنديلا فقنديلا [23].**

و قوله في موضع آخر على لسان السارد :"**طبعا إنه ليس دما زكيا فيبقى على جبين الذكرى ،وليس جرحا رساليا فيمتد العمر باحمراره القاني ،وليس ألما قدسيا فتصير لذته معتّقة كلما كرّت عليها الأيام والليالي ."[24]**

وانطلاقا من المقاطع السردية السابقة نلحظ احتفاء الرواية باللغة الشعرية احتفاء ا جماليا ،حيث تحضر كأدلة تعمق شعور الذات المغتربة بنشوة انتصار الملذات ،فتنحو منحى تصويريا، من خلال توظيف أساليب المجاز من استعارة وتشبيه ،حيث تستنطق اللغة الشعرية الملذات القابعة في أعماق النفس البشرية وتنأى بالوصف عن جروحها ومآسيها ،فتتقارب من خلال هذه التقنيات السردية الصور الشعرية جماليا ودلاليا .

كما تتجلى جمالية اللغة الشعرية في الرواية من خلال استحضار السارد لأبيات شعرية من الشعر العمودي وأخرى من الشعر الحر ،وذلك في مواقف ومقامات مختلفة من باب الاستشهاد والتدليل على أحداث واقعية تتناغم فيها لغة الشعر بلغة السرد ،حيث لجأ الراوي إلى استحضار أبيات شعرية تصور بنية المجتمع الذي تتصارع داخله ثنائيات ضدية وهي : الخير والشر و الجنة والنار و العقل والجنون ...الخ ،والتي يمكن التماس حضورها في شخصية منصور الداخلية التي تتقاذفها الشهوات ،وتقيدها الانكسارات والصراعات الواقعية، لتعيش الشخصية حالة من الانفصال واللاوعي في ظل تأزمات الحاضر و التطلع إلى مستقبل أفضل، وقد وفق الروائي إلى حد ما في استنطاق اللغة الشعرية وجعلها بديلا ينوب عن اللغة السردية ،لما لها من مقدرة تعبيرية ورؤية جمالية في رسم أوجه التناقض الموجودة في الواقع وتجسيد الصراع النفسي بين الذات وعالمها الخارجي ،ومن الأمثلة التوضيحية استحضار السارد لأبيات من شعر الخمرة مجهول ناظمها ،تصف الخمرة كصورة من صور المجون والعبث :

**يشرب الكأس ذو الحجى ويبقى لغد في قرارة الكأس شيّا**
**لم يكن لي غد ،فأترعت كأسي ثم حطّمتها على شفتيّا [25]**

بينما يستشهد بأبيات آخري و في السياق نفسه وإنما هذه المرة لأبى نواس يقول فيها:

**كسروا الجرّة عمدا وسقوا الأرض الشرابا**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**قلت- والإسلام ديني ليتني كنت ترابا**[26]

تظل لغة الشعر النسق المهيمن على وتيرة السرد ،حيث تحضر أبيات من رباعية الخيام تجسم الضياع والانحلال وتشتت الذات داخل مجتمع سمته التناقض يظهر خلاف ما يبطن .

**وقال لمومسة ذو غضون بعينيك وعد... ألا تستحين**

**فقالت صدقت ..كذلك نحن . فهل أنتم مثلما تظهرون**[27]

ولا نبالغ إن نحن راهنا وأكدنا على مقدرة اللغة الشعرية فنيا وجماليا في تصوير المواقف المتناقضة للشخصيات في صراعها مع الآخر دينيا وسياسيا ، والمطالبة بحقوقها الإنسانية ،فكانت الوعاء الذي استوعب جل تناقضات الواقع وتأزماته ،ففتح لها السارد المجال للتعبير عن كفاءتها البلاغية في تحليل الواقع وتصوير المواقف الإنسانية بأبعادها الدلالية وصورها الرمزية ،كما استثمرت لغة الشعر في بعض السياقات والمواقف كتقنية تمنح الحرية أكثر للشخصية في التعبير عن خوالجها ومكبوتاتها ،فكان الشعر الحر المتمرد على الوزن والقافية صورة لمنصور الثائر على كل الحواجز والعراقيل حيث يقول منصور مخاطبا صورة أبيه :

**-يا أبي أبغيك حيا ،لا ظلالا وخيالا في إطار.**

**ووساما ونياشين تدلّت كزهور ذابلات من جدار.**

**وحنينا في ضلوعي وأنينا وبقايا ذكريات في دموعي ونقوشا في سوار.**

**يا أبي أبغيك حيا ..قم تحرك، وانفضن عنك الغبار.**

**أنت من أنزلني من صلبه كالشاة أثغو بين قطعان الذئاب.**

**أنت من عقّدني.**

**أنت من أقعدني**[28].

تلك صورة جمالية سمتها اللوم والعتاب ،خطاب دار بين منصور وأبيه، يناجي فيه ما تبقي من آثار الذكريات هي صورة رمزية تحيل في أعماقها على مرجعية واقعية وموقف اجتماعي وسياسي، تمازج فيها صوت الأنا المكسورة والمحبطة بالرغبة في الانعتاق، وكسر جميع الأغلال ،إنها رغبة جامحة تسري بين ضلوعه تبوح بإصراره في كشف الحقائق المزيفة وتحرير الفرد من جميع القيود التي تأسره ومختلف الحتميات التي تتقل خطاه يقول السارد:

**ليس شيئا أن تعرف الحقيقة وحدك وأن تكتوي بلظاها وحدك وان تتحدى بها وحدك..**

**ليس شيئا أن تنادي بين صم يلغطون..**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

**اسكتوا شيئا قليلا تسمعوا بوح المرايا..**

**وهفيف الشوق في عمق الحنايا..**

**وانكسار النور في ظل الزوايا..**

**أيها الأخرس ماذا ترتجي منا ؟ ..تكلم ...أيها الأخرس انطق..**

**فالظلال السود أشداق حراب ونمير الماء أصداء سراب ،والذي بينهما شوق تشقّق .**

**أيها الظاعن في ليل البوادي القفر احذر أن تصدّق** [29].

ولا يسعنا المقام لاستحضار جل الاستشهادات التي تؤكد هيمنة اللغة الشعرية بأشكالها ومستوياتها المختلفة فاقتصرنا فقط على التمثيل ببعض الشواهد التي تصور صراع الذات مع ذاتها ومع الآخر ، وتجدر الإشارة إلى أن غنى الرواية باللغة الشعرية ليس بالأمر الغريب ولا المستعصي ،اعتبارا من أن عبد الله عيسي لحيلح كاتب رواية وشاعر في الوقت نفسه ،وهذا إن ذل على شيء فإنما يدل على ثراء لغته وشعريتها ،ودور ثقافته ككاتب وشاعر في ثراء النص الروائي وتعدد لغاته، مما يضفي عليه مسحة جمالية وتفردا دلاليا بالنظر إلى تعدد التقنيات والآليات الأسلوبية المتداخلة مع الرواية .

**د/ اللغة التاريخية :**

تنهل الرواية من التاريخ وتوظفه كوعاء رمزي يحيل على مرجعيات واقعية وأحداث سياسية ،فيستثمر الروائي المادة التاريخية للربط بين أحداث وقعت في الماضي وأخرى سليلة الحاضر.

تتمظهر اللغة التاريخية في "كراف الخطايا" في ثنايا حديث الرواي عن نضال الفرد الجزائري إبان الثورة وصراعه للمستعمر الفرنسي ،واستدراجه للفترة التاريخية في عهد حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز ،وهزيمة العرب في عام 1967، وحرب البسوس إضافة إلى حادثة مقتل سيدنا علي رضي الله عنه[30].

كما تستثمر الرواية التاريخ الإسلامي من خلال استحضارها لقصص دينية من مثل قصة : سيدنا سليمان عليه السلام في رأفته بالحيوانات ومعرفته للغاتهم ،كما يحيل استحضار قصة سيدنا نوح مع قومه العصاة على مصير هؤلاء المتمردين على الدين ،الدين يأكلون حقوق الغير ،فاستشهاد الرواية بهذه الحوادث من باب إعادة الاعتبار للقيم والمبادئ الدينية التي غيبت في حياة الفرد في الزمن الحاضر، ويعتبر الطوفان والهلاك نتيجة حتمية لانسلاخ الفرد عن قيمه ، واستنادا لما سبق جاء استحضار الرواية لهذه القصص من باب مقاربة الماضي بالحاضر



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

،والبحث في أسباب الهلاك والفتن وتداعياتهما بين الزمنيين ،وقد ظلت اللغة التاريخية رغم انصهارها مع لغة السرد محافظة على الدلالة الأصلية لسياق النصوص التاريخية الموظفة ،و قد تم الاستفادة من هذا السياق التاريخي لتمرير خطابات ذات أبعاد جديدة تتماشى مع الإشكالية المطروحة ،والمتمثلة في غياب لغة الحوار وسياسة الحروب .

**ه/العامية وأشكالها التعبيرية :**

تتفاوت لغة الطرح وتتباين مستوياتها في الرواية بين اللغة العربية الفصحى واللهجات العامية بأشكالها المختلفة وفي هذا السياق يقول ميخائيل باختنين "إن إدخال جميع أنواع الحكم والأقوال المأثورة إلى الرواية لأنها تستطيع أيضا أن تتأرجح بين الأشكال الغيرية الخالصة (الكلمة المطهرة ) ،وبين الأشكال القصدية مباشرة ،أي تلك التي تتقدم وكأنها الحكم الفلسفية الدالة دلالة شاملة على الكاتب ذاته ."[31]

تحضر العامية داخل المتن الحكائي بصيغ وأشكال مختلفة متحاورة مع اللغة الفصحى ومكملة لدورها في تبليغ رسالة أو تأكيد موقف ،واعتمادا على ما سبق نهلت الرواية من قاموس العامية ما يتوافق وطبيعة الطرح ،فبدا حضور هذه الأشكال محملا بدلالات إيحائية، وصور تعبيرية مكثفة، وسنحاول استجلاء هذه التمظهرات من خلال الاستشهاد بأبرز الأشكال التعبيرية ونذكر منها :

***الأمثال الشعبية والحكم** :

استحضرت الأمثال الشعبية والحكم في سياقات مختلفة نظرا لطبيعتها ومقدرتها على استيعاب الإشكاليات المطروحة وتضمينها بمعان جديدة تعبر عن رؤية الإنسان البسيط ومواقفه من مستجدات الواقع ،وقد فصّح السارد في كراف الخطايا الأمثال الشعبية ولم يوظفها باللهجة العامية التي قيلت بها إلا أنها ظلت محافظة على مضمونها و أبعادها الفنية والجمالية وعلى دلالتها التي قيلت بها ، ونذكر على سبيل المثال :

**قول عز الدين الحوات :"اقل الحوت قبل أن تموت "[32]**

**وأيضا يقول السارد :"قهوة وسيجارة خير من سلطان في داره" [33].**

أورد الروائي هذه الأمثال في مواضع الحوار بين الشخصيات ،فكان لها دورها في الإبانة عن اختلاف المستويات الاجتماعية والثقافية وتأكيد ميل الطبقة الشعبية إلى استعمال المثل كأسلوب في التعبير عن مواقفها وآرائها وتجسيد همومها وطموحاتها .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتح استحضار الرواية للأمثال الشعبية وتفاعلها معها، مجالا للحوار بين اللغة الفصحى والعامية وأكد على فاعلية الإنسان الشعبي ودوره في تفعيل السرد ،نظرا لما تحمله الأمثال من معان وإيحاءات بسيطة، أحالت على رؤيته للعالم بكل تناقضاته والمنعكسة سلبا على ذهنية الفرد ومطالبه .

وإضافة إلى استلهام الرواية للأمثال الشعبية كشكل من أشكال الثقافة واستثمارها في نص الرواية لرمزيتها وايحاءيتها ،لجأ السارد إلى استحضار بعض الصيغ العامية المتداولة في الواقع اليومي لدلالاتها العميقة على المستوى الاجتماعي للشخصيات ومعاناتها اليومية ،و إحالتها في سياقات أخرى على أوجه الانحطاط الأخلاقي من مثل :القهواجي و الزبال الشمة و الزوالي وابن الهجالة[34]...الخ

شكّل تداخل اللهجة العامية وتفاعلها مع اللغة الفصحى شكلا من أشكال التعدد اللغوي أكد على الطبيعة الديالوجية للرواية كجنس منفتح تتداخل من خلاله الأزمنة والأساليب وتتعدد الخطابات .

أفرز هذا التداخل بأشكاله وأنواعه المختلفة (من لغة دينية و سياسية و تاريخية ،إضافة إلى لغة الشعر ووصولا إلى العامية بأشكالها التعبيرية المختلفة ) ،عن استحداث الرواية لتقنيات سردية وأسلوبية مختلفة أسهمت في بناء الرواية على أساس تداخل عدد من اللغات والأصوات والخطابات المتعددة ،مشكلة ظاهرة التعدد اللغوي كرؤية جمالية لها أثرها في تحديد أبعاد النص ودلالاته الدينية والاجتماعية والنفسية المختلفة ،وقد سعينا قدر الإمكان وباختصار شديد إلى تتبع حضور هذه الظاهرة في رواية كراف الخطايا باعتباره نصا منفتحا على عدد هائل من الأساليب واللغات والأصوات واقتصرنا على استحضار أهم أشكال وآليات التعدد اللغوي (لأن النص يتداخل كذلك مع اللغة الفرنسية ،واللغة الصوفية ...الخ ) وهي خطابات لها بعدها الدلالي وأثرها الجمالي في بنية وأسلوب البناء.

**خاتمة:**

انطلاقا من مقاربة ظاهرة التعدد اللغوي بأبعادها الجمالية والفنية في رواية "كراف الخطايا" فإننا نخلص إلى النتائج التالية :

1/تعتبر ظاهرة التعدد اللغوي ظاهرة فنية وجمالية حاضرة وبقوة في رواية" كراف الخطايا" ،أبانت عن مستويات التداخل والتفاعل بين الخطابات والأساليب واللغات ،إضافة إلى تنوع الموضوعات مشكلة نسقا حواريا أساسه تمازج اللغات .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2/تعددت أشكال وآليات حضور ظاهرة التعدد اللغوي ،فتفاعلت لغة الرواية مع لغة الخطاب الديني والخطاب السياسي و الخطاب الشعري والخطاب التاريخي ،إضافة إلى تداخلها مع اللهجات العامية بأشكالها التعبيرية المختلفة وتفاعلها مع اللغة الأجنبية ،مشكلة علاقات حوارية من مواد متنوعة ومتنافرة .

3/أبان التفاعل اللغوي الحاصل بين مكونات الخطاب الروائي عن وعي الكاتب ومقدرته الفنية على إيصال آرائه متخفية تحت ستار ازدواجية الأصوات وتناغمها وتعدد اللغات والخطابات وتفاعلها وتعدد الرواة ،وتنوع الشخصيات وأساليب الوصف والحوار ،كتقنيات سردية تتيح للغة استعراض قدراتها التعبيرية والجمالية .

4/تعددت الأيديولوجيات في الرواية وتجلت في صراع الأفكار المتناقضة ،فأعطت لغة الرواية الفرصة لبروز مختلف الحقائق من منظورات مختلفة وبأساليب متعددة ،حيث تفاعل صوت المؤلف مع صوت الأنا الجماعية متخفيا خلف صوت إحدى شخصياته الروائية .

5/تبدو شخصية منصور حاملا أيديولوجيا من خلال مواقفها وصراعاتها وتبنيها لاتجاهات مختلفة ومتناقضة مع أيديولوجيات الشخصيات الواردة في الرواية مستنيرة بمبدأ حوار الأيديولوجيات المختلفة.

**الهوامش :**

**1/حميد لحمداني : أسلوبية الرواية ،منشورات دراسات سال ،ط 1، الدار البيضاء ، 1989، ص 71.**

**2-ميخائيل باختين : شعرية دوستويفسكي ، ترجمة د/ جميل نصيف التكريتي ،دار توبقال للنشر الدار البيضاء ، ط1، المغرب ، 1986 ، ص 22**

**3-ميخائيل باختين : الكلمة في الرواية ، تر : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، ط1، دمشق ، 1998**

**4-المرجع نفسه: ص 34**

**5-المرجع نفسه : ص 124**

**6-عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998،ص 108**

**7-ميخائيل باختين :الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة ، دار الفكر للدراسات ،ط1 ،القاهرة،1987،ص 18**

**8- المرجع السابق : ص 88**



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9-سورة النساء: الآية48
10-سورة المؤمنون : الآيتان 100/99
11- سورة الكهف : الآية 49
12-سورة عبس : الآية 17
13-سورة العلق : الآية 01
14-سورة البقرة : الآية 61
15-سورة الكهف : الآية 66
16-: عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ، ج1مطبعة المعارف عنابة ،ط1، 2002، ص 41
17-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 164
18-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا (عد إلى الصفحات 138/ 176)
19-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 06
20- عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 232
21-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 208
22-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 93
23-عبد الله عيسي لحيلح :كراف الخطايا ص 231
24-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 225
25 -عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 90
26-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 39
27-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص 223
28-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص ص 239/238
29-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا (عد إلى الصفحات التالية: 186-139-268)
30- عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا ص ص 147-190
31-ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ص 89
32-عبد الله عيسي لحيلح :كراف الخطايا، ص 40
33-عبد الله عيسي لحيلح :كراف الخطايا (عد إلى الصفحات :74-131-144)
34-عبد الله عيسي لحيلح : كراف الخطايا 69 .



المنارة للاستشارات
www.manaraa.com